﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [الأعراف: 39]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

جوابُ الخصومِ وتبرّؤُ الضّالّين ممّن أضلّهم

لَمَّا ذكر الله تعالى دعاءَ الآخرين على الأَوَّلينَ في قولِه سُبحانه: ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾؛ أعقبَهُ ببيانِ جوابِ الأوَّلينَ لَهُم، فقال ﷻ: ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾[1]؛ فالمناسبةُ بين الآيتين ذكرُ جوابِ الخصْمِ على خصمِه، وردِّ المتَّهَم على من اتَّهمَه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَضۡلٖ﴾: الفاءُ والضَّادُ واللَّامُ تدور تصاريفُهَا على زيادَةٍ في شيءٍ، ومِنهُ: الفَضلُ وهو الزِّيادَةُ والخيرُ، والإفضالُ: الإحسانُ[2]. والفَضلُ نوعانِ: محمودٌ؛ كفضلِ العِلمِ والجُودِ، ومذمومٌ؛ كفضلِ الغضَبِ على ما ينبغِي أن يَكونَ عليهِ، إلَّا أنَّ استعمالَ الفَضلِ في المحمودِ أكثَرُ[3].

والفَضلُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ بمعنى: المزيَّةِ، والمعنى: لا مزيَّةَ لأُخرَاهُم على أُولَاهُم في تَعذِيبِهم عذابًا أقلَّ مِن عذابِهِم[4].

2) ﴿فَذُوقُواْ﴾: الذَّال والواو والقافُ تدورُ اشتقاقاتُهَا على معرفةِ طَعمِ الشَّيءِ، بمعنَى: إيقَاعِهِ على الحِسِّ بالتَّناوُلِ منه، ويلزَمُ منه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/398.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فضل).
(3) الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (فضل).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/124.

اختبَارُهُ[1]، وهذا مرادُ مَن جَعَلَ مَعنَى أصلِ المادَّةِ اخْتِبارَ الشَّيءِ من جهةِ الطَّعم[2].

ويُستعمَلُ الذَّوقُ مجازًا في مُطلَقِ الإحساسِ[3]، ومعنَى قَولِ اللّه تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾: تَلَقَّوُا العذابَ وأحسُّوا به[4].

3) ﴿تَكۡسِبُونَ﴾: الكافُ والسِّينُ والباءُ تدلُّ تصريفَاتُهَا على جَمعِ الشَّيءِ وتحصيلِهِ شيئًا بعدَ شيءٍ بِضربٍ مِنَ الجُهدِ[5]، ومِنه: الكَسبُ؛ وهو الابتغاءُ والطَّلَبُ والإصابةُ[6].

والكَسبُ في قولِهِ تَعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ بمعنى العَمَلِ؛ أي: فَذُوقُوا العذابَ بِسَبَبِ أَعمَالِكُم.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المتبوعون يتنصّلون ممّن اتّبعوهم

تُبيِّنُ الآيةُ ما سَيقُولُه المَتبُوعُونَ منَ قادَةِ الفِكرِ والضَّلالةِ لأتباعِهِم: نحنُ وأَنتُم مُتَساوُونَ في الضَّلالِ والانحرافِ، وفي ارتكَابِ أسبابِ العذَابِ؛ فلا مزيَّةَ لأُخرَاهُم على أُولاهُم في تعذيبِهِم عذابًا أقلَّ مِن عذابِهِم، قال اللّهُ تعالى لهُم جَمِيعِهِم: ذوقُوا عذابَ النَّارِ بِسَبَبِ مَا كَسَبتُم مِنَ الذُّنوبِ والمعاصِي[7].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

سَبَبُ عَطْفِ جُملةِ ﴿وَقَالَتۡ﴾ عَلَى مَا قبلَهَا:

فَصْلُ الجُمَلِ ووَصلُهَا يَحكُمُهُ السِّياقُ

عُطِفَ قولُ اللّهِ تعالى: ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمُ﴾ على قَولِهِ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (ذوق).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذوق).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/46.
(4) الزّحيلّي، التّفسير الوسيط: 1/658.
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (كسب).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كسب).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 415 - 419/12، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/124، ونخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 155.

سُبحانَهُ: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾؛ لكونِهم لم يدخُلوا في المحاورَةِ ابتداءً، ولذا لم تُفصَل الجملةُ[1].

معنَى اللَّامِ في قَولِهِ تعالى: ﴿لِأُخْرَىٰهُمْ﴾:

سِياقُ الكَلامِ مُوَجِّهٌ لِحُروفِ المَعانِي

اللَّامُ في قول الله سُبحانَهُ: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ لَامُ التَّبليغِ، نحو قولِكَ: قُلْتُ لَكَ افعَلْ كذَا، وإنَّما كانتِ اللَّامُ للتَّبليغِ؛ لأنَّ الخطابَ هنا مَعَ أُخرَاهُم، بخلاف اللَّام في قوله سُبحانَهُ: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ فإنَّها لامُ أجْلٍ وسَبَبٍ؛ لأنَّ الكلامَ إخبارٌ منَ الله تعالى لا كلامٌ صادِرٌ عنِ الطَّائفةِ الأُولَى[2].

بَلاغةُ الفَاءِ الفصيحةِ:

تـبرُّؤُ المَتبوعينَ مِـنْ أتباعِـهـم إيحاءٌ استباقيٌّ لإنقاذِ الأتباعِ

الفاءُ في قولِ الله تعَالَى حِكايةً عَن مقَالَةِ الأَوَّلِينَ: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ هي الفصيحةُ، فهي واقعةٌ في جوابِ شَرطٍ مُقدَّرٍ، والتَّقديرُ: إذا كانَ الأمرُ كَذلِكَ؛ فَقَد ثَبَتَ أنْ لا فَضلَ لَكُم علينا، وهي مُفيدَةٌ تَرَتُّبَ الجملةِ على قَولِهِ تعالى قَبلُ: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ حَيثُ سُوِّيَ بين الطَّائفَتَينِ في مضاعفَةِ العذابِ[3]، وهذا يدلُّ على أنَّ قولَه تعالى: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ سَمِعَتْه الطَّائفتانِ، فكانَ قولُه: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ مُترتِّبًا عليه.

ويَجوز أن تَكُونَ الفاءُ عاطفةً، والمعطوفُ جملةٌ محذوفَةٌ بعدَ القَولِ، دلَّ عليها مَا تقدَّم مِنَ الكلام، والتَّقدير: دَعَوتُمُ اللهَ تعالى، فسوَّى بينَنَا وبينَكُم في مُضاعفة العذابِ، فمَا كانَ لَكُم علينا مِن فَضلٍ بِضَلالِكُم[4].

وعلى كِلا الوَجهَينِ في معنَى الفاءِ إيجازٌ بالحَذفِ؛ دلَّ المقامُ على تَعيينِ المَحذُوفِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/124.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/50.
(3) الآلوسّي، روح المعاني: 4/357، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/124.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/50.

فائِدَةٌ ﴿مِن﴾ في قَولِهِ تَعالى: ﴿مِن فَضْلٍ﴾:

أفادَتْ ﴿مِن﴾ في قولِ الله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فائِدَتَين:

لَا مُوجِبَ لِتَخفِيفِ العَذَابِ على الأَتبَاعِ ولا على المَتبُوعِينَ

الأولى: تَوكِيدُ النَّفي، وذلكَ لأنَّ قولَهُ سُبحانَهُ: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ سبَبٌ لِلعِلمِ بِأَنْ لا مزيَّةَ لأُخرَاهُم على أولاهُم في تَعذِيبِهم عذابًا أقلَّ، فكانَ التَّقديرُ: فإذا كانَ لِكُلٍّ مِنكُم ضِعفٌ؛ فَما كانَ لَكُم مِن زيادَةٍ في العذابِ[1].

الأُخرى: التَّنصيصُ على العُمومِ؛ وذلك لأنَّ ﴿فَضْلٍ﴾ نَكِرَةٌ في سِيَاق النَّفي، فأفادتِ العُمومَ ظاهرًا، فلمَّا اقترنَتْ بها ﴿مِن﴾ نَقَلَتِ العُمومَ مِن كَونِه ظاهرًا إلى كَونِه نَصًّا.

غرَضُ الأَمرِ في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ﴾:

لمَّا كانَ ذَوقُ المُكذِّبينَ في الدُّنيا كرامةً كان لهم في الآخرةِ إهانةً

الأمرُ في قولِ الله تعالَى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ خارِجٌ عن أصلِ دِلالَتِهِ من إرادَةِ الإلزَامِ بالفعلِ، والمرادُ به: الإهانَةُ والتَّشفِّي[2]، إذا كانتِ الجملةُ مِن تمامِ حكايةِ أُخرَى الطَّائفتَين.

ويُرادُ بالأمرِ الإهانَةُ والتَّكوينُ إذا كان ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ كلامًا مُستَأنفًا مِن كلامِ الله تعالى.

والقَرينَةُ في صَرفِ الأمر مِن دِلالتِهِ الأصليَّةِ إلى معنَى الإهانَةِ: كونُ الكفَّار حالَ خطابِهم بالصِّيغةِ في غُصَصِ المذوقِ ومِحَنِهِ؛ إذْ هذا القولُ واقعٌ، وهُم في النَّار، كما يدلُّ عليه قولُ اللهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾، فليسَ المُرَادُ أمرَهُم بذَوقِ العذابِ حقيقةً، وإلَّا كان تحصيلَ حاصلٍ، وهو مُحَالٌ.

والعلَاقَةُ بينَ المَعنَى الأصليِّ والإهانَةِ: التَّضادُّ؛ لأنَّ الإيجابَ على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/124.

(2) الآلوسّي، روح المعاني: 5/50، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/124.

العبادِ من بابِ التَّشريفِ لهم؛ لِما فيه من تأهُّلِهم لخدمة اللّه تعالى، فهو ضدُّ الإهانَةِ[1].

بَراعَةُ المَجازِ في مُفردةِ (الذَّوقِ):

عَـذابُ الكُفَّارِ في الآخِـــرَةِ عَـذابٌ مُتَزايِدٌ غَيرُ مُتَناهٍ

الذَّوقُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ مُستَعمَلٌ مجازًا في معنَى الإحساسِ بحاسَّةِ اللَّمسِ[2]، وهو مجازٌ مُرسَلٌ، بعلاقَةِ المَلزُومِيَّةِ؛ إذِ الإحسَاسُ لازِمٌ للذَّوقِ.

ويجوزُ أن يَكونَ ذَوقُ العذابِ استِعَارَةً لإحساسِه؛ وذلك لأنَّ الذَّوقَ أَقوَى الحواسِّ المُبَاشِرَةِ لِلجِسمِ، فشُبِّهَ به إحساسُ الجِلدِ[3]؛ ففي قَولِه: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ.

وفي التَّعبيرِ بالذَّوقِ وعيدٌ عظيمٌ؛ حيث جُعِلَ ما هُم فيه مِنَ العَذابِ الأليمِ الشَّديد بمنزِلَةِ الذَّوقِ الّذي هُوَ مقدِّمَةٌ للطَّعامِ، فكذلك عذابُهُم الّذي يُقاسُونَهُ يَعقُبُهُ ألوَانٌ مِنَ العذابِ أشدُّ ممَّا هُم فيه، كما يُشيرُ إلى ذَلِكَ قولُ اللّهِ سُبحَانَهُ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابٗا ۝٣٠﴾ [النّبأ: 30].

أثَرُ تَعيينُ قائِلِ: ﴿فَذُوقُواْ﴾ في رَبْطِ المعطوفاتِ:

تَزدادُ كلامِ الحقِّ في النَّارِ لا يُنقِذُ مِـن لَـهيبِـها، ولا يُـخـرِجُ من حميمِها

قولُ اللّهِ تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ يَجُوزُ أن يكونَ مِن كَلامِ أُولَاهُم، فَيَكونوا قَد عطفُوا قولَهم: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ على قولِهم قبلُ: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ بفاءِ العطفِ المُفيدَةِ التَّرتُّبَ؛ إذِ التَّشفِّي منهم فِيما ينالُهم مِن مُضَاعَفَةِ العذابِ تَرَتَّبَ على تحقُّقِ انتفاءِ الفَضلِ بينَهُم في مضاعفةِ العذابِ الّذي دلَّ عليه قولُ اللّهِ تعالى: ﴿قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ﴾[4].

(1) عبد الله الغَزِّيّ الزَّبيديّ، تشحيذ الأفهام في إطلاقات الأمر والنّهي والاستفهام، ص: 55 - 56.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/124.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/188.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/124.

ويجوزُ أن يكُونَ قولُه سُبحانَهُ: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ من كلام الله تعالى، خطابًا للفَرِيقَين معًا، فيكون مَعطُوفًا على قوله سُبحانَهُ: ﴿قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾، ويكون قولُه: ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ اعتراضًا بَينَ الجُملَتَينِ المُتَعَاطِفَتَين[1].

ويصحُّ الجمعُ بينَ الاحتِمالَين، ذلك أن يكونَ قد قالَ الله تعالى تلكَ القَولَةَ، ثمَّ قالها أولئكَ بعضُهم لبعضٍ تَردادًا لما سَمِعُوه، وتنفيسًا عمَّا عانُوه.

بَلاغَةُ الكِنايَةِ في الآيَةِ:

تصريحُ النَّصِّ بما سيكُونُ، تخويفٌ رادعٌ وترهيبٌ لاذعٌ

قولُ اللهِ تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ يُرادُ به الإهانَةُ – على ما تقدَّم –، والمقصودُ مِن عمُومِ الكلامِ لازِمُهُ؛ وهُو ما يترتَّبُ عليهِ مِنَ التَّخويفِ والزَّجرِ، فكان هذا مِنَ الكِنايَةِ عن الصِّفَةِ، ووجهُ إرادَةِ اللَّازِمِ ههنا: أنَّ اللهَ سُبحانَهُ لَمَّا أخبرَ عن تبرُّؤِ القادةِ والأتباعِ بعضِهم مِن بعضٍ، ولَعْنِ بعضِهم بعضًا؛ كان ذلك موجبًا لوقوعِ الخَوفِ العَظيمِ في القُلوبِ[2].

معنَى اللَّامِ في ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾:

تعدُّدُ التَّفسيرِ لمعنَى اللَّامِ لا يُلغِي التَّكامُلَ في المعنَيَيْنِ

اللَّامُ في ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ من قَولِ الله سُبحانه: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ للعَهدِ، وهذا العهدُ يحتَمِلُ وجهَين:

أحدهُمَا: أن يكون العهدُ ذِكريًّا صَريحيًّا، والمرادُ: العذابُ المُضَاعَفُ المذكُور في قولِه سُبحانَهُ قبلُ: ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾، فالمعنَى: ذُوقُوا العذابَ المُضاعَفَ بِسَبَبِ ما كسبْتُم مِنَ الآثَامِ.

والآخَرُ: أن يكون العَهدُ حضوريًّا، والمعنَى: ذوقُوا العذابَ الحاضِرَ الّذي أنتُم فيهِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/125.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/239.

ولا تعارُضَ بين المعنَيين؛ لأنَّ العذابَ الحاضرَ الّذي هُم فِيهِ هو العذابُ المضاعَفُ المذكُورُ في الآيةِ المُتقدِّمَةِ.

معنى (مَا) ودلالتُها:

مُـجـازَاةُ اللـهِ تـعـالى لجـمـيـعِ مـا اقـتَـرَفَـتْـهُ الكافرون، وَهُم يَعلَمُونَه

(مَا) في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ تَحتَمِلُ وَجهَين:

أَحَدُهُما: أن تَكُونَ مصدريَّةً، فتُسبَكُ مَعَ ما بعدهَا بِمَصدَرٍ، والتَّقدير: فَذُوقُوا العَذَابَ بِسَبَبِ كَسبِكُم.

والآخَرُ: أن تَكُونَ مَوصُولًا اسميًّا، والتَّقديرُ: فذُوقُوا العذابَ بِسَبَبِ الّذي كُنتُم تَكسِبُونَهُ، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ اللّه ﷻ يُجازِيهِم على جَميعِ ما اقتَرَفُوهُ؛ لأنَّ الاسمَ الموصولَ مِنَ الألفاظِ الدَّالَّةِ على العُمُومِ، وكذلكَ يُوحي بمعرفتِهم بما اكتَسبُوه في الدُّنيا، وهذا من عظيمِ عدلِه، وواسِعِ فضلِه، في إنذارِهم، وتحذيرِهم.

ويكونُ في قولِه: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ - على هذا الوجهِ - إيجازٌ بحذفِ العائِدِ، مراعاةً للتَّناسُبِ الصَّوتِيِّ لِفواصِلِ الآيِ.

دلَالَةُ اجتِماعِ فِعْلِ الكَونِ والمضارِعِ: ﴿كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾:

زيـادةُ الحسرَةِ في استـحـضـارِ مشاهِدِ الحَرامِ وارتكابِ الآثامِ

جاءَ التَّعبيرُ بفعلِ الكونِ في قولِه تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ دون (بِمَا تَكسِبُون)؛ للإعلامِ بأنَّ اللّه سُبحانَهُ عالمٌ بِما استمرُّوا عليه مِنَ الكَسبِ في المَاضِي.

وفي اختيارِ الفعلِ المضارعِ ﴿تَكْسِبُونَ﴾ دونَ الماضي: (بِمَا كَسَبْتُمْ) إبرازٌ لأعمالِهم القبيحَةِ الّتي عملُوهَا في صورَةِ ما يُعمَلُ في الحَالِ؛ لِيَستَحضِرُوا مُوجِبَ مُضاعَفَةِ العذابِ عليهِم وقتَ تعذِيبِهِم.

وفيهِ من زيادةِ العذابِ النَّفسيِّ، ومضاعَفَةِ الحَسرَةِ ما لا تُحيطُ به الأفئدةُ، فهو جمعَ بين الفعلِ ﴿كُنتُمْ﴾ الّذي أفادَ تصويرًا شموليًّا لجميعِ ما كانوا عليه، والمضارِعِ ﴿تَكْسِبُونَ﴾ الّذي أفادَ استمرارَهم

فيما هُم فيه منَ الآثامِ، فكأنَّ حالَهم في الدُّنيا قد حضرَت، وهُم يَرَونَها بأمِّ أعيُنِهم.

نُكتَةُ التَّعبيرِ بِالكَسْبِ دُونَ الكُفرِ:

كـلُّ كَـسْـبٍ قـامَ عـلى كُـفْـرٍ مُـؤدٍّ إلى نَارِ

عُبِّر بالكَسبِ دُون الكُفرِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾؛ لكونِ الكَسبِ يعُمُّ جميعَ أحوالِهم؛ وذلك لأنَّ إضلالَهم حاصِلٌ بالكُفرِ وبِحُبِّ الفخرِ والإغرَاب بما علَّموهُم وما سنُّوا لَهُم، فكان لفظُ الكَسبِ أنسَبَ لكونِهِ أَعَمَّ وأشمَلَ[1]، فيدخلُ فيه الكفرُ وغيرُه، ولو قالَ: (بما كُنتُم تَكفُرُون)؛ لكانَ نصًّا في الكُفرِ، فيُظنُّ أنَّه المقصودُ فحسب، والمُرادُ جميعُ أنواعِ الكَسب، من مثلِ: القَتلِ، والإضلالِ، والإفسادِ، ممَّا يغفُلُ عنها النَّاس فيتهاوَنون فيها.

تَوجِيهُ المُتشابِهِ اللَّفظِيِّ:

دِقَّـــةُ اخـتِـيَـارِ الأَلفَاظِ المُلَائِمَةِ لِسِياقاتِهَا

قال اللهُ سُبحانه في آية الأعراف: ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾، وقال في سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥﴾ [الأنفال: 35]، ووجهُ التَّغايُرِ بينهما أنَّ آيةَ الأنفال جاءَت في ذكرِ كُفَّارِ قُرَيشٍ، وما كانوا يفعلونَهُ عندَ البيتِ الحرامِ منَ المُكاءِ والتَّصديةِ، فناسب ذلك أن تُختَمَ الآيةُ بوصفِ الكُفرِ.

بخلاف آية الأعراف فإنَّها في قومٍ ضلُّوا في أنفسهم، وأضلُّوا غيرَهُم، فقيل لهم: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾؛ أي: بما كسبتُم من إضلالِكُم غيرَكُم مع كُفرِكُم في أنفسِكُم، فناسب أن يُزادَ في العذابِ وتضعِيفِه؛ لزيادةِ الكَسبِ في الضَّلالةِ[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/124.

(2) محمّد مُحمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 513.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»